تأثير الديمغرافيا فى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية:

دراسة حالة لكل من الصين وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية

د. أيمن زهرى

خبير السكان ودراسات الهجرة

لا شك ***فى أن التحولات الديمغرافية التى يشهدها العالم الآن هى التى سوف ترسم خريطة العالم السياسية والاجتماعية فى العقود المقبلة. بين عجز ديمغرافى فى العديد من البلدان الكبرى يجعلها غير قادرة على إدارة عجلة الاقتصاد دون اللجوء إلى برامج مكلفة لدعوة السكان لرفع مستويات الخصوبة من جهة، واضطرارها لتعديل السياسات الخاصة بالهجرة كحل سريع للعجز الديمغرافى الذى تشهده تلك البلدان، وما يصاحب ذلك من لغط مجتمعى ورفض سياسى فى كثير من الأحيان، خاصة مع تنامى التيارات القومية واليمينية المناهضة للهجرة تسعى كل الدول إلى الوصول إلى التركيبة السكانية الأكثر ملاءمة للظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل بلد. لا توجد معادلة معيارية بشكل دقيق لا للحجم الأمثل للسكان ولا لمستويات الخصوبة التى يمكن للدول الاعتماد عليها فى وضع سياساتها السكانية؛ إذ إن المتغيرات على مختلف الأصعدة، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، شديدة التغير والتقلب فى عالم تختل فيه الثوابت وتتغير فيه الاتجاهات بين عشية وضحاها. الأمثلة على عدم التأكد/عدم اليقين كثيرة، من كان يتصور تشرُّد نصف سكان سوريا؟! من كان يتصور أن الحرب الروسية-الأوكرانية كان سيكون لها هذا التأثير العنيف فى اقتصادات العالم؟! من كان يتوقع تشرُّد أكثر من عشرة ملايين لاجئ أوكرانى فى مدة زمنية قصيرة؟!***

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع نمو السكان فى ثلاث دول تمثل ثقلا سياسيا على المستوى الدولى هى الصين، وروسيا، والولايات المتحدة. تستعرض الدراسة تطور النظر للسكان فى الدول المختارة والسياسات السكانية المتبعة، التى تميل حاليا إلى تشجيع الإنجاب بعد مدة طويلة من ضبط النسل بوسائل صارمة، فى حالة الصين، وعدم وجود سياسات واضحة مرتبطة بالنمو السكانى فى كل من روسيا إلى مدة قريبة قبل أن تنتبه هذه الدول إلى التبعات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية للتغيرات الديمغرافية وديناميكيات السكان. تحاول هذه الدراسة أيضا استشراف المستقبل من خلال توقع آثار السياسات السكانية الحالية فى مستقبل هذه الدول ومكانتها العالمية، وتناقش فى سبيل ذلك السياسات المتبعة فى هذه الدول وتوقعاتنا لمدى نجاح هذه السياسات، وآثارها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة أجزاء، نستعرض فى الجزء الأول نمو السكان منذ عام ١٩٥٠ حتى الوقت الحالى وتوقعات النمو فى المستقبل حتى عام ٢١٠٠. وفى الجزء الثانى منها نستعرض السياسات السكانية التى تتبعها هذه الدول للتأثير

فى حجم السكان فى المستقبل مع إشارة موجزة لتاريخ تلك السياسات. أما الجزء الثالث والأخير فنخصصه لتصور الآثار الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية للتغيرات السكانية فى البلدان المذكورة، قبل أن ننتهى إلى خاتمة نستشرف فيها مستقبل هذه الدول فى ضوء التغيرات السكانية المتوقعة.

قد يتساءل القارئ، لماذا اختيار هذه الدول بالذات؟ يمكن لمجموعة أخرى من الدول أن تؤدى الغرض من الدراسة وهو العلاقة بين السياسات السكانية والفعل السياسى لهذه الدول، إلا أن اختيارنا لهذه الدول يمكن تبريره من خلال تركيزنا على كتلة سكانية ضخمة وقوة صاعدة هى الصين، بالإضافة إلى مأزق الحرب الروسية-الأوكرانية، والدعوة فى روسيا إلى تبنى سياسات هادفة لرفع مستوى الخصوبة.

وتمثل الولايات المتحدة حالة فريدة بوصفها الدولة الأولى التى تفتح بابها للمهاجرين، وهى الدولة الأكثر أهمية من حيث اعتمادها على الهجرة لتعزيز التنوع فى المجتمع، وتجديد حيويته وتشجيع المنافسة بين جميع فئات المجتمع، هذا بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة دائما تسوق نفسها على أنها أرض الأحلام.

قبل عرض أقسام الدراسة المختلفة ربما يكون من مندوحة القول الحديث ولو باختصار عن «الحجم الأمثل للسكان» فى بلد ما. هل هناك حجم أمثل للسكان يمكن الاسترشاد به؟ يمكننا القول إن الحجم الأمثل للسكان Optimal Population Size هو الحجم الذى يقع بين العجز السكانى Demographic Deficit والفائض السكانى أو الزيادة السكانية Demographic Surplus. هذا التعريف ربما يقودنا إلى سؤال آخر حول ماهية العجز الديمغرافى والفائض الديمغرافى، ومتى يمكن القول إن هذا البلد لديه فائض ديمغرافى، أو إن ذاك البلد يعانى العجز الديمغرافى.

فى حقيقة الأمر، إن معايير العجز والفائض الديمغرافى تختلف باختلاف التركيب العمرى والنوعى للسكان، ومستوى النشاط الاقتصادى فى البلد، والخصائص الاجتماعية لكل بلد؛ إذ تعانى بلدان الخليج العربى العجزَ الديمغرافى، على الرغم من ارتفاع الخصوبة، فيما تعانى أوروبا، على سبيل المثال، عجزا ديمغرافيا مبررا بسبب انخفاض الخصوبة، وارتفاع نسبة المعمرين، وشيخوخة المجتمع، وانخفاض أعداد الداخلين إلى سوق العمل مقارنة بالخارجين منه نتيجة تعمر السكان. فى حالة بلدان الخليج العربى لا يتأتى العجز الديمغرافى من انخفاض الخصوبة أو تعمر السكان لكن بسبب عدم التوازن بين النشاط الاقتصادى كبير الحجم وصِغَر القاعدة السكانية فى هذه البلدان المتمثلة فى العجز عن توفير عنصر العمل بالحجم الذى يتطلبه الاقتصاد.

تعرف نظرية الحجم الأمثل للسكان(١) بأنه ذلك الحجم الذى يتناسب مع الموارد المتاحة فى المجتمع. بتعبير آخر، فإن الحجم الأمثل لسكان دولة ما هو ذلك الحجم الذى يحقق أعلى دخل للفرد Per Capita Income فى ظل الموارد الطبيعية المتاحة والمستوى التكنولوجى المتاح. وتعد نظرية الحجم الأمثل للسكان محاولة نظرية للتعاطى مع المسألة السكانية، إلا أنها فى الوقت ذاته تمثل تصورا نظريا قاصرا للتفاعلات والعوامل التى تتحكم فى ديناميكيا السكان وتهمل العديد من العوامل التى تربط بين السكان والتنمية، وتهمل حقيقة أن العلاقة بين السكان والتنمية علاقة معقدة ومتشابكة، ولا يمكن اختصارها فقط بين السكان والموارد الاقتصادية ومستوى التكنولوجيا السائد. تهمل هذه النظرية التغيرات السريعة التى يشهدها العالم اليوم فى مستوى التكنولوجيا، وحقيقة أن التكنولوجيا تتطور بشكل أسرع من قدرة الدول على التحكم فى أعداد سكانها أو خصائصهم من حيث التركيب العمرى والنوعى ومهاراتهم وقدرتهم على الالتحاق بسوق العمل فى ظل التغيرات المتلاحقة فى متطلبات أسواق العمل وفى مستقبل العمل بشكل عام.

أولًا- تطور نمو السكان والتوقعات المستقبلية:

نتناول فى هذا الجزء من الدراسة تطور نمو السكان ومعدلات الخصوبة والوفاة والتركيب العمرى والنوعى للسكان فى كل من الصين، وروسيا، والولايات المتحدة خلال المدة من ١٩٥٠ حتى عام ٢٠٢٠، ثم نستكمل توقعات النمو السكانى حتى عام ٢١٠٠. ونستعين فى ذلك ببيانات معيارية قابلة للمقارنة من خلال قاعدة بيانات السكان التى يوفرها قسم السكان بالأمم المتحدة(٢).

١- السكان والتركيب العمرى والنوعى:

يعكس التوزيع العمرى والنوعى للسكان نتاج التفاعلات الديمغرافية المختلفة، مثل معدلات الخصوبة ومعدلات الوفيات لمدة زمنية كبيرة فى الماضى. ونعرض وصفا تفصيليا للسكان وتركيبهم العمرى والنوعى فى كل من الصين، وروسيا، والولايات المتحدة خلال المدة من ١٩٥٠ إلى عام ٢٠٢٠ وتوقعات نمو السكان وتركيبهم حتى عام ٢١٠٠.

٢- السكان والكثافة السكانية:

يوضح الجدول رقم (١)، تطور حجم السكان فى كل من الصين، وروسيا، والولايات المتحدة خلال المدة من عام ١٩٥٠ حتى عام ٢٠٢٠ وكذلك توقعات السكان حتى عام ٢١٠٠. ويتضح من الجدول المذكور أن عدد سكان الصين قد ارتفع من ٥٤٤ مليون نسمة عام ١٩٥٠ إلى ١,٢٦٤ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ ثم استمر فى الارتفاع ليصل إلى ١,٤٢٥ مليون نسمة عام ٢٠٢٠. فى الوقت نفسه، ارتفع سكان روسيا من ١٠٢,٦ مليون نسمة عام ١٩٥٠ إلى ١٤٦,٨ مليون نسمة عام ٢٠٠٠، ثم انخفض عدد السكان قليلا حتى وصل إلى ١٤٥,٦ مليون نسمة عام ٢٠٢٠. وارتفع عدد سكان الولايات المتحدة من ١٤٨,٣ مليون نسمة عام ١٩٥٠ إلى ٢٨٢,٤ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ ثم واصل عدد السكان الارتفاع ليصل إلى ٣٣٥,٩ مليون نسمة عام ٢٠٢٠.

ويلاحظ من الأرقام السابقة أن عدد سكان الصين عام ٢٠٠٠ أصبح يساوى ٢٣٢٪ عدد السكان عام ١٩٥٠، فيما بلغ عدد سكان روسيا عام ٢٠٠٠ مقارنة بعام ١٩٥٠ نحو ١٤٣٪، فى حين بلغ عدد سكان الولايات المتحدة عام ٢٠٠٠ مقارنة بعام ١٩٥٠ نحو ١٩٠٪ مما يعنى تضاعف حجم سكان الولايات المتحدة تقريبا خلال النصف الثانى من القرن العشرين.

وإذا انتقلنا للتوقعات المستقبلية لحجم السكان فى البلدان الثلاثة المذكورة نجد أن حجم السكان فى الصين سوف يستمر فى الارتفاع التدريجى حتى يصل إلى ذروته عام ٢٠٣٠؛ إذ إنه من المتوقع أن يصل عدد السكان آنذاك إلى ١٤١٥,٦ مليون نسمة، ثم يبدأ بعدها حجم سكان الصين فى التناقص التدريجى ليصل إلى ١٣١٢,٦ مليون نسمة عام ٢٠٥٠ ثم إلى ٧٦٦,٧ مليون نسمة بنهاية القرن الحادى والعشرين. ومن المتوقع أن يبدأ عدد السكان فى روسيا فى التناقص قبل الصين بعقدين من الزمان تقريبا؛ إذ إن قمة الارتفاع فى حجم السكان قد شهدتها روسيا عام ٢٠٢٠، التى من بعدها تبدأ أعداد السكان فى الانكماش. من المتوقع أيضا أن ينخفض عدد سكان روسيا من ١٤٥,٦ مليون نسمة عام ٢٠٢٠ إلى ١٣٣,١ مليون نسمة عام ٢٠٥٠، ثم يواصل عدد السكان مسيرته فى الانخفاض حتى يصل إلى ١١٢,١ مليون نسمة عام ٢١٠٠. الوضع بالنسبة للولايات المتحدة يبدو مختلفا إلى حد كبير؛ حيث من المتوقع أن يستمر عدد السكان فى الارتفاع حتى يصل إلى مستوى ٣٧٥,٤ مليون نسمة عام ٢٠٥٠، ثم يرتفع مرة أخرى إلى ٣٩٤ مليون نسمة بنهاية هذا القرن الحادى والعشرين.

ويلاحظ من العرض السابق، وبغض النظر عن التباين الشديد فى حجم السكان بين البلدان الثلاثة المذكورة، يلاحظ حتمية الزيادة ثم النقصان فى أعداد السكان؛ إذ إنه بعد الوصول إلى مرحلة معينة من الارتفاع فى حجم السكان، يبدأ السكان فى الانخفاض التدريجى نظرا للانخفاضات المتتابعة فى مستويات الخصوبة مع التقدم المحرز فى الحياة الإنسانية، وارتفاع سن الزواج، ورغبة البشر فى التحرر من القيود والالتزامات التى يفرضها الإنجاب، وكذلك ارتفاع مستوى تعليم الإناث وانخراط المرأة فى العمل وغيرها من العوامل التى تؤدى إلى انخفاض الخصوبة. يستثنى من ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى تسهم الهجرة بقدر كبير فى الزيادة السكانية بها. ويرتبط حجم السكان بالمساحة الكلية للبلد والمساحة المأهولة داخل البلد، وهذا ما سوف نناقشه فى السطور التالية.

جدول رقم (١)

السكان بالمليون نسمة لكل من الصين وروسيا والولايات المتحدة

2100-1950

السنة	الدولة		
	الصين	روسيا	الولايات المتحدة
1950	**544.0**	**102.6**	**148.3**
1955	603.3	111.0	161.1
1960	654.2	119.7	176.2
1965	723.8	126.4	189.7
1970	822.5	130.1	200.3
1975	915.1	133.8	211.3
1980	982.4	138.3	223.1
1985	1,060.2	142.9	235.1
1990	1,153.7	148.0	248.1
1995	1,218.1	148.6	265.7
2000	**1,264.1**	**146.8**	**282.4**
2005	1,304.9	143.8	296.8
2010	1,348.2	143.2	311.2
2015	1,393.7	144.7	324.6
2020	**1,424.9**	**145.6**	**335.9**
2025	1,424.4	143.5	343.6
2030	1,415.6	141.4	352.2
2035	1,399.5	139.2	360.0
2040	1,377.6	137.1	366.6
2045	1,349.8	135.2	371.7
2050	**1,312.6**	**133.1**	**375.4**
2055	1,263.5	130.7	378.2
2060	1,205.0	128.0	380.9
2065	1,144.1	125.2	383.8
2070	1,085.3	122.5	386.8
2075	1,029.0	120.1	389.4
2080	972.9	118.0	391.2
2085	916.8	116.3	392.2
2090	863.3	114.8	392.9
2095	813.7	113.4	393.5
2100	**766.7**	**112.1**	**394.0**

المصدر: حُسِب بواسطة الكاتب من قاعدة بيانات السكان بالأمم المتحدة، تنقيح عام 2022، الأمم المتحدة. https://population.un.org/dataportal/ تاريخ الاسترجاع 19.04.2023.

يقصد بالكثافة السكانية متوسط عدد السكان لكل كيلومتر من مساحة الدولة، وتعد الكثافة السكانية أحد مؤشرات الانتشار السكانى، ويختلف توزيع السكان طبقا للمساحة المأهولة داخل الدولة، وكذلك تختلف الكثافة من منطقة إلى أخرى، إلا أن مؤشر الكثافة السكانية يعد مؤشرا عاما للعلاقة بين السكان والأرض يستخدم فى المقارنات الدولية. نظرا للثبات النسبى لحجم الدول ذات السيادة يكون العامل الوحيد الذى يؤثر فى كثافة السكان فى بلد ما هو نمو السكان. يوضح الجدول رقم (٢) أدناه معدلات الكثافة السكانية للدول محل الدراسة خلال المدة من ١٩٥٠ إلى ٢١٠٠. تبلغ مساحة الصين نحو ٩,٦ مليون كيلومتر مربع فيما تبلغ مساحة روسيا أكثر من ١٧ مليون كيلومتر مربع، وتبلغ مساحة الولايات المتحدة ٩,٨ مليون كيلومتر مربع.

وتوضح البيانات الواردة فى الجدول المذكور أن الكثافة السكانية فى الصين بلغت ذروتها عام ٢٠٢٠ بمقدار ١٤٨,٤ نسمة لكل كيلومتر مربع قبل أن تتجه للانخفاض الحثيث تزامنا مع انخفاض حجم السكان فى الصين لتصل إلى ١٣٧,٦ نسمة لكل كيلومتر مربع عام ٢٠٥٠، ثم إلى ٧٩,٩ نسمة لكل كيلومتر مربع عام ٢١٠٠. وتحل الولايات المتحدة فى المركز الثانى بعد الصين من حيث الكثافة السكانية؛ إذ بلغت الكثافة السكانية للكيلومتر المربع ٣٦,٧ نسمة عام ٢٠٢٠. ومن المتوقع أن تستمر الكثافة السكانية فى الولايات المتحدة فى الارتفاع الطفيف حتى تصل إلى ٤١ نسمة لكل كيلومتر مربع عام ٢٠٥٠، ثم إلى ٤٣,١ نسمة لكل كيلومتر مربع عام ٢١٠٠.

بالنسبة لعدد السكان فى روسيا مقارنة بمساحتها الشاسعة، يمكننا القول بكثير من التأكد: إن روسيا تعانى ندرة سكانية هائلة؛ إذ بلغت الكثافة السكانية بها ٨,٩ نسمة لكل كيلومتر مربع عام ٢٠٢٠. نظرا لتوقع انخفاض حجم السكان فى المستقبل، فمن المتوقع أن تنخفض الكثافة السكانية إلى ٨,١ نسمة لكل كيلومتر مربع عام ٢٠٥٠، ثم إلى ٦,٨ نسمة فقط لكل كيلومتر مربع عام ٢١٠٠.

جدول رقم (٢)

معدلات الكثافة السكانية (لكل كيلومتر مربع) لكل من الصين وروسيا والولايات المتحدة (1950-2100)

السنة	الدولة		
	الصين	روسيا	الولايات المتحدة
1950	**56.7**	**6.3**	**16.2**
1955	62.8	6.8	17.6
1960	68.1	7.3	19.3
1965	75.4	7.7	20.7
1970	85.7	7.9	21.9
1975	95.3	8.2	23.1
1980	102.3	8.4	24.4
1985	110.4	8.7	25.7
1990	120.2	9.0	27.1
1995	126.9	9.1	29.0
2000	**131.7**	**9.0**	**30.9**
2005	135.9	8.8	32.5
2010	140.4	8.7	34.0
2015	145.2	8.8	35.5
2020	**148.4**	**8.9**	**36.7**
2025	148.4	8.8	37.6
2030	147.5	8.6	38.5
2035	145.8	8.5	39.4
2040	143.5	8.4	40.1
2045	140.6	8.3	40.6
2050	**136.7**	**8.1**	**41.0**
2055	131.6	8.0	41.3
2060	125.5	7.8	41.6
2065	119.2	7.6	42.0
2070	113.1	7.5	42.3
2075	107.2	7.3	42.6
2080	101.3	7.2	42.8
2085	95.5	7.1	42.9
2090	89.9	7.0	42.9
2095	84.8	6.9	43.0
2100	**79.9**	**6.8**	**43.1**

المصدر: حُسِب بواسطة الكاتب من قاعدة بيانات السكان بالأمم المتحدة، تنقيح عام 2022، الأمم المتحدة. https://population.un.org/dataportal/ تاريخ الاسترجاع 19.04.2023.

٣- التركيب العمرى والنوعى:

يمكننا من خلال العرض البيانى باستخدام الهرم السكانى الذى يعكس حجم/نسبة السكان فى الفئات العمرية المختلفة طبقا للنوع (ذكور/إناث)، كما هو موضح فى الأشكال رقم ١ ورقم ٢، أن نتصور شكل التركيبة السكانية للدول محل الدراسة من خلال بيانات السكان لأعوام ٢٠٢٠ و٢٠٥٠ و٢١٠٠. ويلاحظ من البيانات الواردة فى الشكل المذكور أن الهرم السكانى للولايات المتحدة الأمريكية لعام ٢٠٢٠ هو الأكثر توازنا من حيث تمثيل جميع الفئات العمرية طبقا للنوع. هذا بالإضافة إلى أن نسبة صغار السن تعد مرتفعة نسبيا إذا ما قورنت بنظيراتها فى كل من الصين وروسيا اللتين تعانيان بشدة انخفاض الخصوبة وهو ما بدا جليا فى تقلص نسبة صغار السن، خاصة فى روسيا.

وإذا انتقلنا إلى الهرم السكانى فى الدول المذكورة فى الأعوام ٢٠٥٠ و٢١٠٠، نلاحظ أن نسبة صغار السن سوف تنخفض انخفاضا كبيرا فى الصين وهو ما يوضحه تقلص التمثيل النسبى للفئات العمرية فى سن الطفولة والشباب. يمكن أيضا ملاحظة ارتفاع نسبة المعمرين بدرجة كبيرة، خاصة بحلول عام ٢١٠٠. والوضع فى روسيا لا يختلف كثيرا عن الوضع فى الصين؛ إذ من المتوقع أن ترتفع وتيرة تعمُّر السكان فى روسيا عام ٢٠٥٠، وكذلك بنهاية القرن الحادى والعشرين.

ومن المتوقع أن تحتفظ الولايات المتحدة بتوزيع سكانى متوازن حتى نهاية القرن الحادى والعشرين مما يضمن استمرار التمثيل المتوازن لكل الفئات العمرية. وربما يُعزى التوازن السكانى فى الولايات المتحدة إلى توقعات خصوبة متوسطة مع استمرار الهجرة إليها فى المستقبل التى تعمل على إعادة إحياء المجتمع الأمريكى بصفة دائمة. هذا بالإضافة إلى أن المهاجرين، حتى إن أتوا من دول ذات خصوبة مرتفعة، فإنهم عادة ما ينخرطون فى المجتمع الأمريكى بما يؤدى إلى تبنيهم نمط خصوبة يكون عادة أقل من النمط السائد فى بلدانهم الأم وأكثر قليلا من نمط الخصوبة السائد فى بلد المهجر. ويتبنى الجيل الثانى عادة نمطَ خصوبةٍ مماثلا لنمط الخصوبة السائد فى بلد المهجر.

٤ - تعمُّر السكان:

للاستفاضة فى وصف التركيب العمرى لما له من أهمية اقتصادية واجتماعية، يوضح الشكل رقم (٣) أدناه السكان فى البلدان المذكورة طبقا لفئات عمرية عريضة خلال المدة من ٢٠٢٠ إلى ٢١٠٠. تمثل الفئة الأولى فئة الأطفال أقل من ١٥ عاما، وتمثل الفئة الثانية السكان من ١٥ عاما إلى أقل من ٦٥ عاما، فيما تمثل الفئة الأخيرة السكان ٦٥ عاما فأكثر. ويلاحظ من الشكل المذكور أن نسبة كبار السن سوف ترتفع ارتفاعا كبيرا فى الصين؛ إذ إنه من المتوقع أن يرتفع التمثيل النسبى للسكان ٦٥ عاما فأكثر من ١٢,٦٪ فقط عام ٢٠٢٠ ليصل إلى أكثر من ٤٠٪ من إجمالى حجم السكان بنهاية القرن العشرين. وفى المدة الزمنية نفسها، من المتوقع أن ترتفع نسبة السكان فى الفئة العمرية ذاتها بروسيا من ١٥,٣٪ عام ٢٠٢٠ إلى ٢٧,٩٪ من إجمالى السكان عام ٢١٠٠. وفى الولايات المتحدة، من المتوقع أن ترتفع نسبة كبار السن من ١٦,٢٪ عام ٢٠٢٠ إلى ٢٣,٦٪ عام ٢٠٥٠، قبل أن تواصل ارتفاعها حتى تصل إلى ٣٠,٥٪ من إجمالى السكان بنهاية القرن الحادى والعشرين. ويلاحظ أنه رغم انطلاق الدول الثلاث من نِسَب متقاربة للسكان ٦٥ عاما فأكثر عام ٢٠٢٠، فإن توقعات النمو فى هذه الفئة من السكان من المتوقع لها أن تتباين تباينا شديدا بنهاية القرن الحادى والعشرين لتصبح الصين الأولى فى تعمُّر/ شيخوخة السكان فى منتصف هذا القرن وحتى نهايته.

(أ) السكان أقل من ١٥ عاما:

بالنسبة لفئة صغار السن (السكان ٠-١٤ عاما) فى البلدان المذكورة يمكننا ملاحظة أن نسبة هذه الفئة فى البلدان الثلاثة محل الدراسة عام ٢٠٢٠ كانت أقل من النسبة على مستوى سكان العالم (٢٥,٧٪)، إذ تراوحت بين ١٨٪ فيها (١٨٪ فى الصين، و١٧,٧٪ فى روسيا، و١٨,٥٪ فى الولايات المتحدة)، إلا أنها كانت أقل بكثير من بلد نام كمصر (على سبيل المثال) الذى بلغت فيه نسبة السكان أقل من ١٥ عاما ٣٣,٤٪ من إجمالى السكان. على الرغم من انخفاض تمثيل فئة صغار السن فى الصين، وروسيا، والولايات المتحدة عام ٢٠٢٠، فإن التوقعات السكانية حتى عام ٢١٠٠ تشير إلى أن هذه البلدان سوف تشهد انخفاضا متتاليا فى نسبة السكان صغار السن ليصل إلى مستويات دنيا بنهاية هذا القرن خاصة بالنسبة للصين. وفى الصين، من المتوقع أن تنخفض نسبة صغار السن إلى ١١,٤٪ عام ٢٠٥٠، ثم إلى ٩,٨٪ فقط عام ٢١٠٠، لكن سوف تشهد هذه النسبة انخفاضا إلى ١٥,٧٪ عام ٢٠٥٠، ثم إلى ١٤,٥٪ بنهاية هذا القرن، ما يعادل تقريبا تطور هذه النسبة فى الولايات المتحدة التى ستصل نسبة صغار السن بها بنهاية هذا القرن إلى ١٤٪ من إجمالى السكان.

(ب) السكان فى الفئة العمرية المنتجة:

يمثل السكان فى الفئة العمرية ١٥-٦٤ عاما عصب الحياة لأى دولة؛ إذ إن جزءا كبيرا من السكان فى هذه الفئة يمثلون قوة العمل. لذلك فإنه كلما زادت نسبة السكان فى هذه الفئة العمرية كانت لدى الدولة فرصة أكبر لتغذية الاقتصاد بالعنصر الأهم لدوران عجلته، وهو القوى العاملة. يعتمد حجم هذه الفئة العمرية فى أى مجتمع على عنصرين أساسيين هما أعداد الداخلين فى هذه الفئة من السكان (الصغار الذين يبلغون ١٥ عاما)، وأعداد الخارجين من هذه الفئة (ببلوغ سن التقاعد، أو عدم القدرة على المساهمة فى النشاط الاقتصادى، عادة عند بلوغ الشخص ٦٥ عاما). ويتأثر عدد الداخلين لهذه الفئة بمستوى الخصوبة السائد؛ إذ إنه كلما ارتفعت الخصوبة زاد عدد السكان فى الفئة العمرية ٠-١٤، ومن ثم زاد عدد السكان المنتقلين من هذه الفئة العمرية العريضة للفئة التالية (١٥-٦٤ عاما). ويتناقص عدد السكان فى الفئة العمرية ١٥-٦٤ ببلوغ بعض أفرادها سن الخامسة والستين.

ونظرا لانخفاض الخصوبة فى الدول المذكورة، فإن أعداد الداخلين أو المنتقلين من الفئة العمرية ٠-١٤ عاما إلى الفئة العمرية ١٥-٦٤ لا يعوض عادة أعداد الخارجين من هذه الفئة والمنتقلين إلى فئة المعمرين، مما يؤدى إلى تآكل نسبة الفئة العمرية المنتجة (نظريا) الأمر الذى يهدد استمرارية الأنشطة الاقتصادية فى هذه البلدان. بالنظر إلى جدول رقم (٣) يمكننا ملاحظة أن نسبة مساهمة الفئة العمرية ١٥-٦٤ عاما لإجمالى السكان فى الصين سوف تنخفض من نحو ٧٠٪ من إجمالى السكان فى ٢٠٢٠ إلى ٥٨,٥٪ عام ٢٠٥٠، مع توقع انخفاضات متتالية لتصل هذه النسبة إلى أقل من ٥٠٪ من حجم السكان بنهاية القرن العشرين (٤٩,٣٪).

وربما يكون الوضع فى روسيا والولايات المتحدة أفضل قليلا عما هو الحال فى الصين؛ إذ من المتوقع أن تنخفض نسبة الفئة العمرية المنتجة فى روسيا من ٦٧٪ عام ٢٠٢٠ إلى ٦٠٪ عام ٢٠٥٠، ثم إلى ٥٧,٦٪ عام ٢١٠٠. والنمط نفسه تقريبا من المتوقع حدوثه بالنسبة للولايات المتحدة إذ من المتوقع أن تنخفض نسبة السكان ١٥-٦٤ عاما من ٦٥,٣٪ عام ٢٠٢٠ إلى ٦٠,٨٪ عام ٢٠٥٠ قبل أن تنخفض مرة أخرى لتصل إلى ٥٥,٥٪ بنهاية القرن الحادى والعشرين.

(جـ) السكان فى فئة الإعالة الديمغرافية:

ويؤدى انخفاض الحجم النسبى للفئة العمرية ١٥-٦٤ عاما وارتفاع نسبة كبار السن إلى زيادة العبء الواقع على عاتق الفئة المنتجة لرعاية الفئات السكانية غير المنتجة (الأطفال وكبار السن). ويتم التعبير عن العلاقة بين الفئة المنتجة والفئتين الأخريين بما يعرف بـ «نسبة الإعالة الديمغرافية» أو «نسبة الإعالة العمرية»، حيث تعد نسبة الإعالة الديمغرافية مقياسا لعدد المعالين الذين تكون أعمارهم أقل من ١٥ عاما والذين تزيد أعمارهم على ٦٤ عاما، مقارنة بإجمالى السكان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٦٤ عاما. ويمكننا من خلال هذا المؤشر الديمغرافى أن نقارن عدد الأشخاص فى غير سن العمل، مقارنة مع عدد من هم فى سن العمل، كما أنه يساعدنا على التعرف إلى العبء الاقتصادى الواقع على السكان فى سن العمل لإعالة أنفسهم، بالإضافة إلى الفئات فى غير سن العمل. كلما ارتفعت نسبة الإعالة زاد العبء على الفئة العمرية فى سن العمل لرعاية الفئات الأخرى.

ويلاحظ من بيانات الجدول رقم (٣) أيضا أن نسبة الإعالة الديمغرافية فى الصين سوف ترتفع ارتفاعا حادا خلال المدة المقبلة لترتفع من ٤٤,١٪ عام ٢٠٢٠ لتصل إلى ٧١,١٪ عام ٢٠٥٠ ثم تواصل الارتفاع الحاد لتصل إلى ١٠٢,٨٪ عام ٢١٠٠. ويكاد النمط الروسى بالنسبة للإعالة الديمغرافية يماثل نمط الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ إنه من المتوقع أن ترتفع نسبة الإعالة الديمغرافية فى روسيا من ٤٩,٢٪ عام ٢٠٢٠ إلى ٦٦,٧٪ عام ٢٠٥٠، ثم تصل إلى ٧٣,٦٪ عام ٢١٠٠. بالنسبة للولايات المتحدة، ومن المتوقع أن ترتفع نسبة الإعالة العمرية من ٥٣,٢٪ عام ٢٠٢٠ إلى ٦٤,٦٪ عام ٢٠٥٠، ثم تتجاوز الـ ٨٠٪ عام ٢١٠٠.

٥ ـ التركيب النوعي:

يُقصد بالتركيب النوعى توزيع السكان طبقا للنوع (الذكور والإناث)، عادة ما تكون النسبة الطبيعية للنوع بالنسبة للمواليد ١٠٥ من الذكور لكل مائة من الإناث. إن ارتفاع عدد المواليد الذكور على الإناث أكثر من هذه النسبة ربما يعنى ارتفاع نسبة الإجهاض (للإناث) أو قلة العناية بالمواليد الإناث. وتختلف نسبة النوع طبقا للفئات العمرية المختلفة؛ حيث نلاحظ أنه فى كل المجتمعات ترتفع معدلات الوفيات بالنسبة للرجال مقارنة بمعدلات الوفيات الخاصة بالنساء خاصة مع التقدم فى العمر، لذلك فإن توقع الحياة بالنسبة للنساء يكون عادة أطول من توقع الحياة بالنسبة للذكور. نسبة النوع لسكان كوكب الأرض حاليا هى ١٠٠ ذكر لكل أنثى تقريبا.

وتتأثر نسبة النوع فى مجتمع ما زيادة ونقصانا بالعديد من العوامل البيولوجية والمجتمعية التى من أهمها الهجرة من وإلى البلد طبقا للنوع، فترتفع نسبة النوع إذا كانت الهجرة إلى ذلك البلد يغلب عليها الطابع الذكورى مثلا. كما تختلف نسبة النوع أيضا طبقا لتباين معدلات الوفيات بالنسبة للذكور والإناث فى الفئات العمرية المختلفة، كما تؤدى الحروب عادة إلى وفاة أعداد كبيرة من الذكور مما يؤدى إلى زيادة نسبة الإناث فى المجتمع مثلما حدث فى العديد من دول أوروبا فى أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ويوضح الجدول رقم (٤) تطور نسبة النوع لكل من الصين، وروسيا، والولايات المتحدة خلال المدة من ١٩٥٠ إلى ٢١٠٠. خسرت روسيا خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية الكثير من الرجال فى ميادين القتال مما أدى إلى انخفاض حاد فى نسبة النوع وصل إلى ٧٦,٥ ذكر لكل مائة أنثى. وارتفعت النسبة تدريجيا منذ الخمسينيات لتصل إلى ٨٦,٨ عام ٢٠٢٠. ومن المتوقع أن تصل نسبة النوع فى روسيا إلى ٨٩,٢ عام ٢٠٥٠، ثم إلى ٩٦,٤ عام ٢١٠٠ لكنها تظل أقل من المستوى العالمى فى جميع السنوات. وتقل نسبة النوع عن المستوى المعيارى (١٠٠ ذكر لكل أنثى) حيث بلغت ٩٨,٣ عام ٢٠٢٠، ومن المتوقع أن تستمر بالمستوى نفسه تقريبا طوال المدة التى تغطيها الدراسة.

وبعيدا عن دول الخليج العربية التى تصل نسبة النوع فى بعض دولها إلى أكثر ٢٠٠ ذكر لكل مائة أنثى بسبب هجرة العمالة المؤقتة، تعد نسبة النوع فى الصين من أعلى النسب المسجلة فى المجتمعات الطبيعية(٣) إذ بلغت ١٠٦,١ ذكر لكل مائة أنثى عام ١٩٥٠، وانخفضت انخفاضا طفيفا إلى ١٠٤,٥ عام ٢٠٢٠، ومن المتوقع أن تصل النسبة إلى ١٠٢ عام ٢١٠٠. وفى كل السنوات من ١٩٥٠ إلى ٢١٠٠ سجلت الصين معدلا أكبر من المعدل العالمى لنسبة النوع. حيث يمكن تفسير ارتفاع نسبة النوع فى الصين، جزئيا، إلى عدم دخول الصين حروبا كبرى مدمرة مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية، وكذلك تفضيل المجتمع الصينى المعروف للذكور خاصة فى ظل تطبيق سياسة الطفل الواحد وتقدم التكنولوجيا الخاصة باختيار جنس الجنين. وفى هذا الصدد تجدر الإشارة، على سبيل المثال، إلى أنه عام ٢٠٠٥ تراوحت نسبة النوع عند الولادة فى الصين بين ١٢٠ و١٣٠ مولودا ذكرا لكل مائة مولود أنثى(٤).

الشكل رقم (١) الهرم السكانى للصين وروسيا والولايات المتحدة ٢٠٢٠، ٢٠٥٠، ٢١٠٠

الصين	روسيا	الولايات المتحدة
2020		
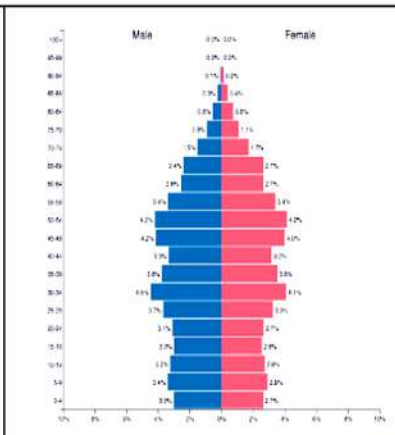	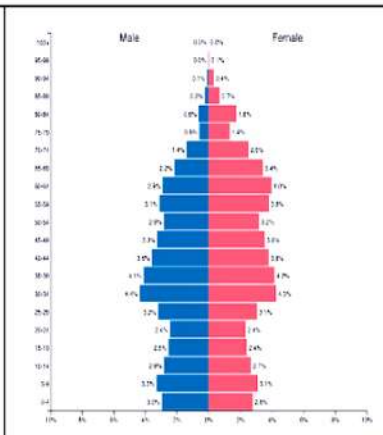	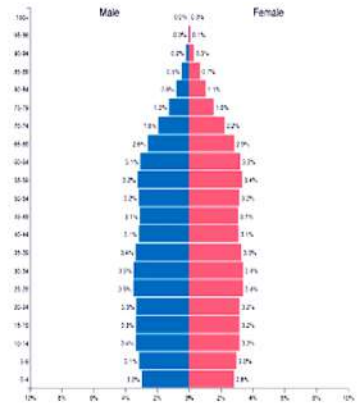
2050		
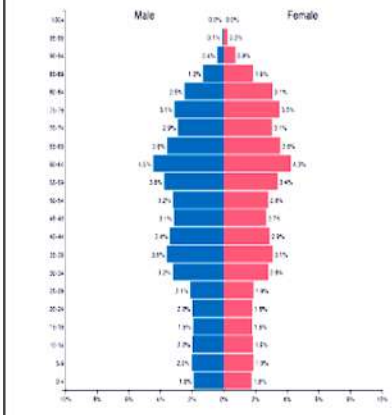	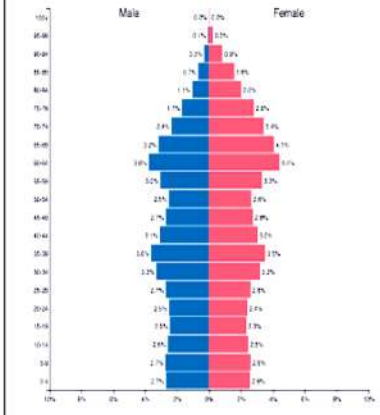	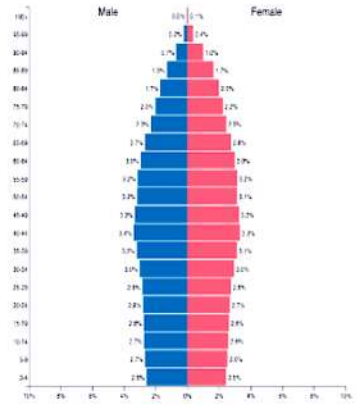
2100		
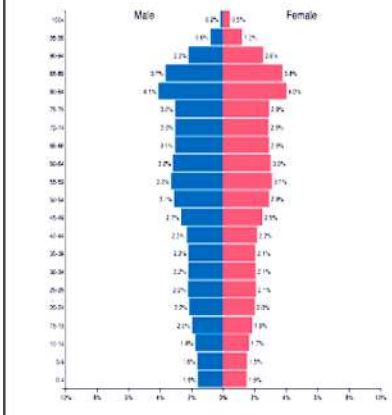	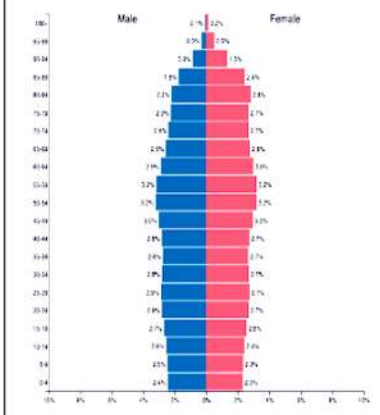	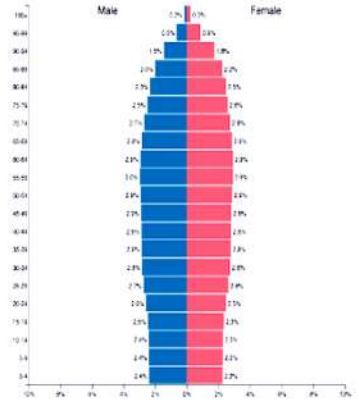

الشكل رقم (٢) الهرم السكانى لمصر والعالم ٢٠٢٠، ٢٠٥٠، ٢١٠٠

مصر	العالم
2020	
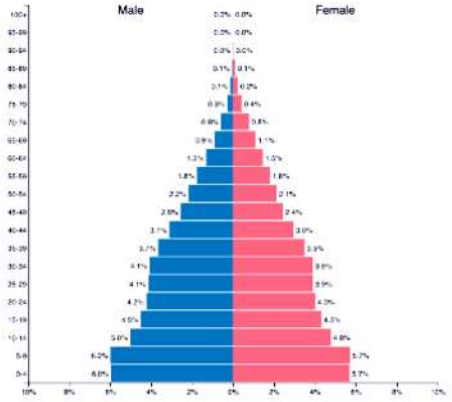	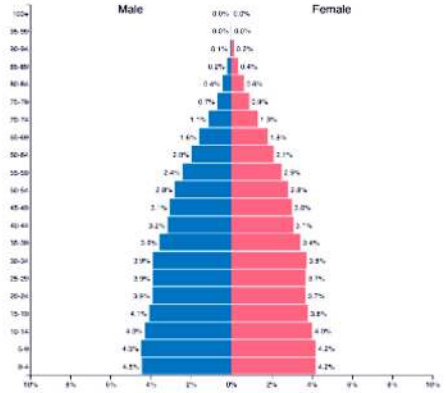
2050	
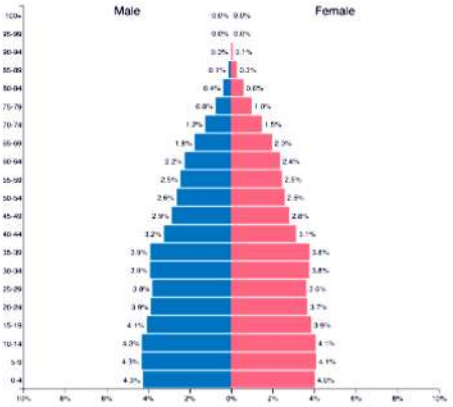	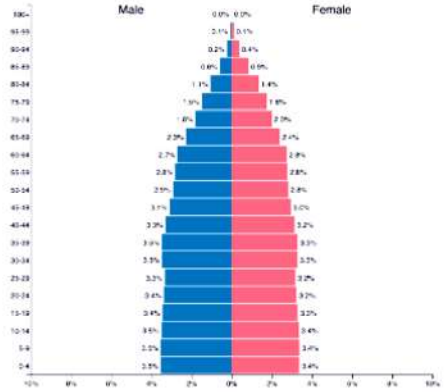
2100	
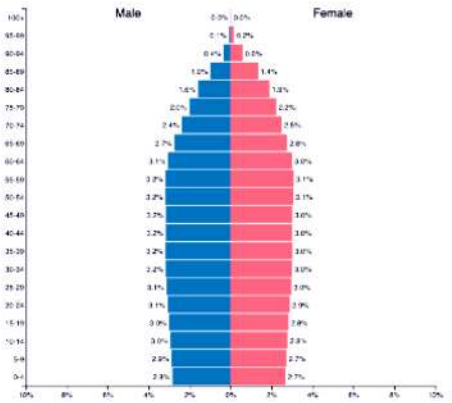	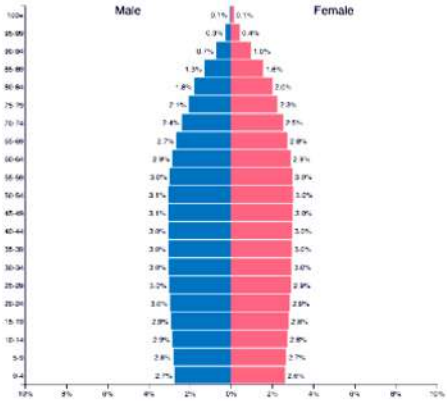

شكل رقم (٣) النسبة المئوية للسكان طبقا لفئات عمرية عريضة فى كل من الصين، وروسيا، والولايات المتحدة ٢٠٢٠-٢١٠٠

الصين

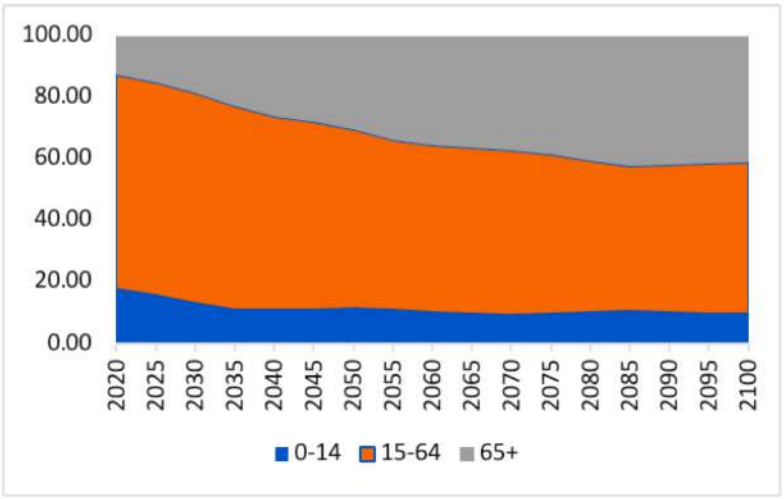

روسيا

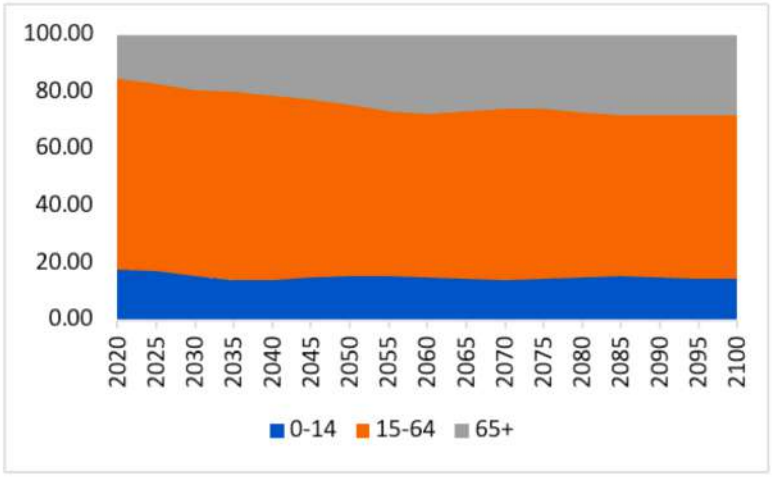

الولايات المتحدة

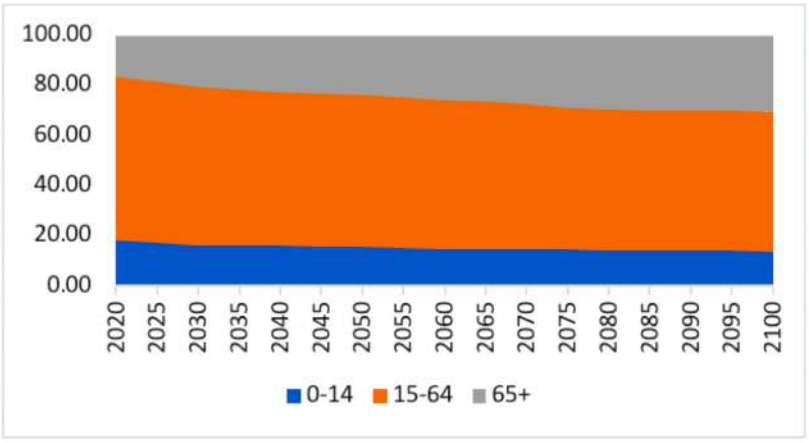

جدول رقم (٣)

السكان طبقا لفئات عمرية عريضة ونسبة الإعالة لكل من الصين وروسيا والولايات المتحدة 2020، 2050، 2100

الدولة	الفئة العمرية	2020	2050	2100
الصين	0-14	18.0	11.4	9.8
	15-64	69.4	58.5	49.3
	65+	12.6	30.1	40.9
	نسبة الإعالة	**44.1**	**71.1**	**102.8**
روسيا	0-14	17.7	15.7	14.5
	15-64	67.0	60.0	57.6
	65+	15.3	24.4	27.9
	نسبة الإعالة	**49.2**	**66.7**	**73.6**
الولايات المتحدة	0-14	18.5	15.6	14.0
	15-64	65.3	60.8	55.5
	65+	16.2	23.6	30.5
	نسبة الإعالة	**53.2**	**64.6**	**80.2**

المصدر: حُسِب بواسطة الكاتب من قاعدة بيانات السكان بالأمم المتحدة، تنقيح عام 2022، الأمم المتحدة.
https://population.un.org/dataportal/ تاريخ الاسترجاع 23.04.2023.

جدول رقم (٤)

نسبة النوع لكل من الصين وروسيا والولايات المتحدة 2020-21000

السنة	الدولة			العالم
	الصين	روسيا	الولايات المتحدة	
1950	**106.14**	**76.48**	**98.33**	**99.31**
1955	105.37	78.56	98.73	99.62
1960	104.67	81.16	98.26	99.86
1965	104.12	82.91	97.10	100.03
1970	103.89	83.71	95.69	100.16
1975	103.83	84.38	95.63	100.42
1980	103.70	85.51	95.22	100.52
1985	103.65	86.66	95.45	100.59
1990	103.87	88.17	95.91	100.79
1995	104.27	88.05	96.42	100.95
2000	104.62	87.63	96.97	101.09
2005	104.76	86.44	97.08	101.16
2010	104.86	86.01	97.06	101.24
2015	104.82	86.48	97.79	101.31
2020	**104.46**	**86.75**	**98.27**	**101.19**
2025	103.89	86.77	97.96	100.94
2030	103.33	86.92	97.87	100.71
2035	102.83	87.17	97.88	100.47
2040	102.50	87.64	98.00	100.26
2045	102.41	88.37	98.23	100.09
2050	**102.50**	**89.22**	**98.53**	**99.95**
2055	102.68	90.03	98.84	99.82
2060	102.92	90.78	99.11	99.70
2065	103.23	91.59	99.30	99.59
2070	103.48	92.54	99.42	99.48
2075	103.56	93.59	99.48	99.38
2080	103.47	94.60	99.52	99.26
2085	103.32	95.40	99.56	99.14
2090	103.10	95.90	99.60	99.01
2095	102.65	96.19	99.63	98.87
2100	**101.97**	**96.42**	**99.67**	**98.72**

المصدر: حُسِب بواسطة الكاتب من قاعدة بيانات السكان بالأمم المتحدة، تنقيح عام 2022، الأمم المتحدة.
https://population.un.org/dataportal/ تاريخ الاسترجاع 23.04.2023.

٦- الخصوبة والوفيات:

يمثل التفاعل بين الخصوبة والوفيات ما يُعرف بالزيادة الطبيعية التى هى مقدار الزيادة (أو العجز) فى السكان الناتج عن تفاعل الخصوبة (التى تعمل على زيادة حجم السكان)، والوفيات (التى تعمل على خفض حجم السكان). ويمكن القول بكثير من التأكد: إن العامل الحاسم الذى أدى إلى زيادة عدد السكان فى العالم بشكل عام، وسكان الدول النامية بشكل كبير خلال السبعين عاما الماضية (بداية من خمسينيات القرن العشرين) هو انخفاض الوفيات بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الاكتشافات العلمية الحديثة وخصوصا اكتشاف البنسلين والمضادات الحيوية، وكذلك التوسع فى تطعيمات الأطفال. كل هذه الجهود، أدت إلى انخفاض سريع فى معدلات الوفيات، خاصة بالنسبة لوفيات الرضع والأطفال دون الخامسة. ولم يواكب الانخفاض الذى حدث فى الوفيات انخفاضًا مماثلاً فى الخصوبة مما أدى إلى وصول العالم إلى مرحلة ما كان يطلق عليه مرحلة الانفجار السكانى؛ إذ أدت الفجوة الكبيرة بين معدلات المواليد المنخفضة ومعدلات الخصوبة المرتفعة إلى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية.

أ- الصين:

بالنظر إلى معدلات الخصوبة ونمو السكان فى الدول الثلاث محل الدراسة مقاسة بمعدلات المواليد الخام(٥) مقارنة بمعدلات الوفيات الخام، نجد أن معدل المواليد الخام فى الصين كان هو الأعلى فى منتصف القرن العشرين من بين الدول الثلاث إذ بلغ هذا المعدل أكثر من ٤٠ فى الألف مقارنة بـ ٢٨,٨ فى الألف فى روسيا و٢٢,٨ فى الألف فقط فى الولايات المتحدة. وبدأ معدل المواليد فى الصين فى الانخفاض الحثيث حتى وصل إلى مستوى ١٣,٨ فى الألف عام ٢٠٠٠ ثم استمر الانخفاض حتى وصل إلى ٨,٦ فى الألف عام ٢٠٢٠. ومن المتوقع أن يستمر معدل المواليد الخام فى الانخفاض حتى يصل إلى ٦,٩ فى الألف عام ٢٠٥٠ ثم يستمر المستوى حول ستة فى الألف حتى نهاية القرن العشرين. فى الوقت ذاته تستمر معدلات الوفاة فى الارتفاع كنتيجة طبيعية لشيخوخة السكان؛ إذ إنه بعد أن انخفض معدل الوفيات الخام فى الصين من ٢٣,٢ فى الألف فى منتصف القرن العشرين إلى ٦,٢ فى الألف فقط عام ٢٠٠٠، من المتوقع أن يبدأ هذا المعدل فى الارتفاع التدريجى ليصل إلى ١٣,٢ فى الألف عام ٢٠٥٠، ثم يوالى الارتفاع حتى يصل إلى ١٧,٩ حالة وفاة لكل ألف من السكان.

كما سلف الذكر، يلخص معدل الزيادة الطبيعية(٦) العلاقة بين معدلى المواليد والوفيات. كما هو مبين فى جدول رقم ٥ أدناه، يمكن ملاحظة أن معدل الزيادة الطبيعية فى الصين، باستثناء النصف الأول من ستينيات القرن الماضى(٧)، قد بلغ أعلى درجاته عام ١٩٦٥ بقيمة قدرها ٢٧ فى الألف، قبل أن يبدأ فى الانخفاض التدريجى بعد ذلك حتى وصل معدل الزيادة الطبيعية إلى ٧,٥ فى الألف بحلول عام ٢٠٢٠ ثم إلى ١,٣ فى الألف عام ٢٠٢٠، وذلك بسبب تطبيق سياسة سكانية صارمة (سياسة الطفل الواحد) خلال المدة من ١٩٧٨ حتى عام ٢٠١٥. مع الانخفاض المتوقع فى معدلات المواليد والارتفاع المستمر لمعدلات الوفيات من المتوقع أنه بداية من عام ٢٠٢٥ سوف تبدأ الصين فى تسجيل معدل زيادة طبيعية سلبى، أى إن معدلات الوفيات سوف تكون أعلى من معدلات المواليد وبذلك يبدأ عدد سكان الصين فى التناقص حتى يصل عدد السكان إلى ٧,٧٦٦ مليون نسمة بنهاية هذا القرن كما ذكرنا آنفا.

جدول رقم (٥)

معدلات الزيادة الطبيعية لكل من الصين وروسيا والولايات المتحدة (1950-2100)

السنة	الصين	روسيا	الولايات المتحدة
1950	17.9	16.0	13.2
1955	22.4	17.6	14.4
1960	-0.2	15.7	13.2
1965	27.0	8.5	9.5
1970	26.3	5.9	8.8
1975	16.1	6.2	5.7
1980	14.7	5.2	7.1
1985	15.7	5.6	7.0
1990	17.5	2.5	8.1
1995	9.2	**-5.9**	6.1
2000	7.5	**-6.6**	6.0
2005	6.6	**-5.6**	5.8
2010	6.8	**-1.6**	5.0
2015	5.7	**0.5**	4.0
2020	1.3	**-4.3**	1.3
2025	**-0.5**	**-3.0**	2.3
2030	**-1.6**	**-3.7**	1.8
2035	**-2.6**	**-3.9**	1.2
2040	**-3.4**	**-3.7**	0.3
2045	**-4.5**	**-3.6**	**-0.4**
2050	**-6.3**	**-4.1**	**-1.1**
2055	**-8.4**	**-4.8**	**-1.3**
2060	**-9.9**	**-5.2**	**-1.2**
2065	**-10.3**	**-5.2**	**-1.1**
2070	**-10.3**	**-5.0**	**-1.2**
2075	**-10.5**	**-4.5**	**-1.5**
2080	**-11.3**	**-4.0**	**-1.9**
2085	**-11.7**	**-3.6**	**-2.2**
2090	**-11.6**	**-3.3**	**-2.3**
2095	**-11.4**	**-3.2**	**-2.3**
2100	**-11.7**	**-3.3**	**-2.4**

المصدر: حُسِب بواسطة الكاتب من قاعدة بيانات السكان بالأمم المتحدة، تنقيح عام 2022، الأمم المتحدة.
https://population.un.org/dataportal/ تاريخ الاسترجاع 19.04.2023.

الشكل رقم (٤) معدلات المواليد الخام والوفيات الخام (فى الالف)، الصين ١٩٥٠-٢١٠٠

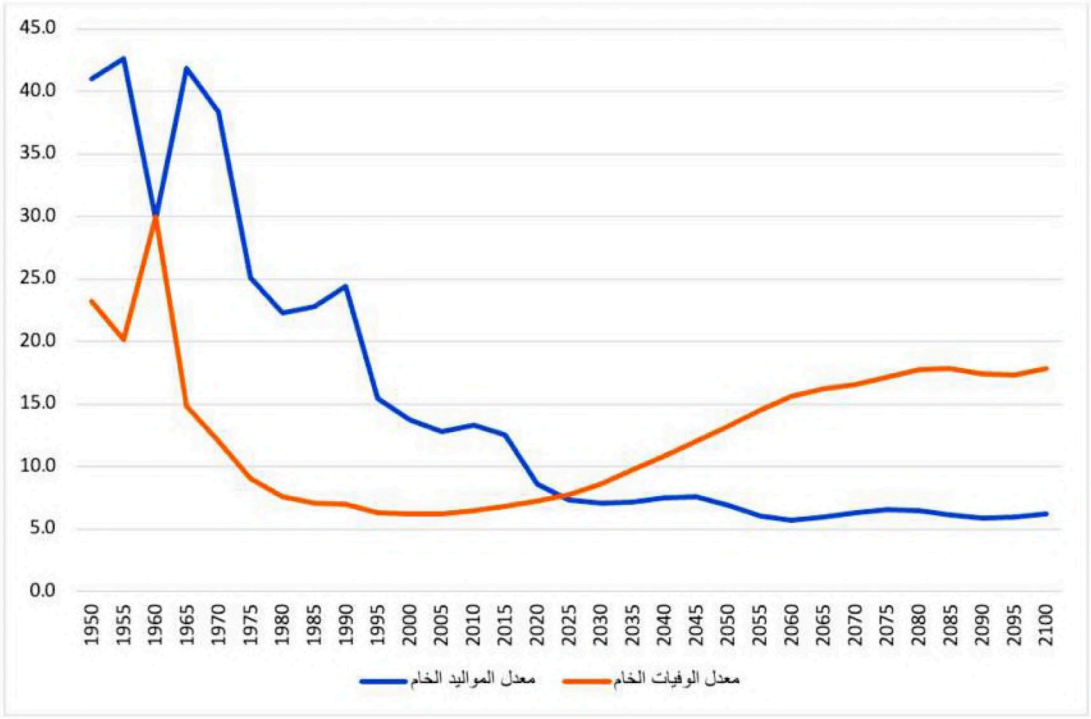

ب - روسيا:

بالنظر إلى معدلات المواليد والوفيات منذ منتصف القرن العشرين حتى وقتنا الحالى، وكذلك توقعات نمو السكان فى المستقبل حتى نهاية القرن الحادى والعشرين نرى أن معدل المواليد فى روسيا بدأ مرتفعا عند مستوى ٢٨,٨ فى الألف ثم انخفض انخفاضا دراماتيكيا بعد ذلك حتى وصل إلى ١٣,٥ فى الألف عام ١٩٩٠ ثم استمر الانخفاض حتى وصل إلى ٩,٩ فى الألف عام ٢٠٢٠. ومن المتوقع أن يستمر معدل المواليد فى التذبذب حول هذا الرقم حتى يصل إلى ٩,٦ فى الألف عام ٢١٠٠.

وإذا انتقلنا لسلوك معدل الوفيات فى المدة نفسها نجد أن معدل الوفيات فى منتصف القرن الماضى كان عند مستوى منخفض بلغ ١٢,٩ فى الألف. العجيب أن هذا المستوى هو المستوى نفسه المتوقع لروسيا عام ٢١٠٠، أى بعد ١٥٠ عاما من تسجيل هذا المستوى فى عام ١٩٥٠ مع ارتفاع طفيف إلى مستوى يزيد على ١٤ فى الألف خلال المدة من ٢٠٢٠ إلى ٢٠٨٠.

وبالنسبة لمعدل الزيادة الطبيعية فى روسيا ونظرا للثبات النسبى لمعدل الوفيات خلال مدة زمنية طويلة، يمكننا القول إن التغير فى معدل الوفيات هو العامل المحدد لمستوى الزيادة الطبيعية. ونلاحظ من خلال الشكل رقم (٥) أدناه أن معدل المواليد بدأ فى الانخفاض عن معدل المواليد بداية من عام ١٩٩٥؛ حيث بلغ معدل المواليد ٩,٤ فى الألف فيما بلغ معدل الوفيات ١٥,٤ فى الألف مما يعنى أن الزيادة الطبيعية المسجلة منذ ذلك التاريخ هى نقصان وليس زيادة. بالاعتماد على الزيادة الطبيعية فقط، من المتوقع أن يستمر تناقص سكان روسيا حتى نهاية القرن العشرين.

الشكل رقم (٥) معدلات المواليد الخام والوفيات الخام (فى الألف)، روسيا ١٩٥٠-٢١٠٠

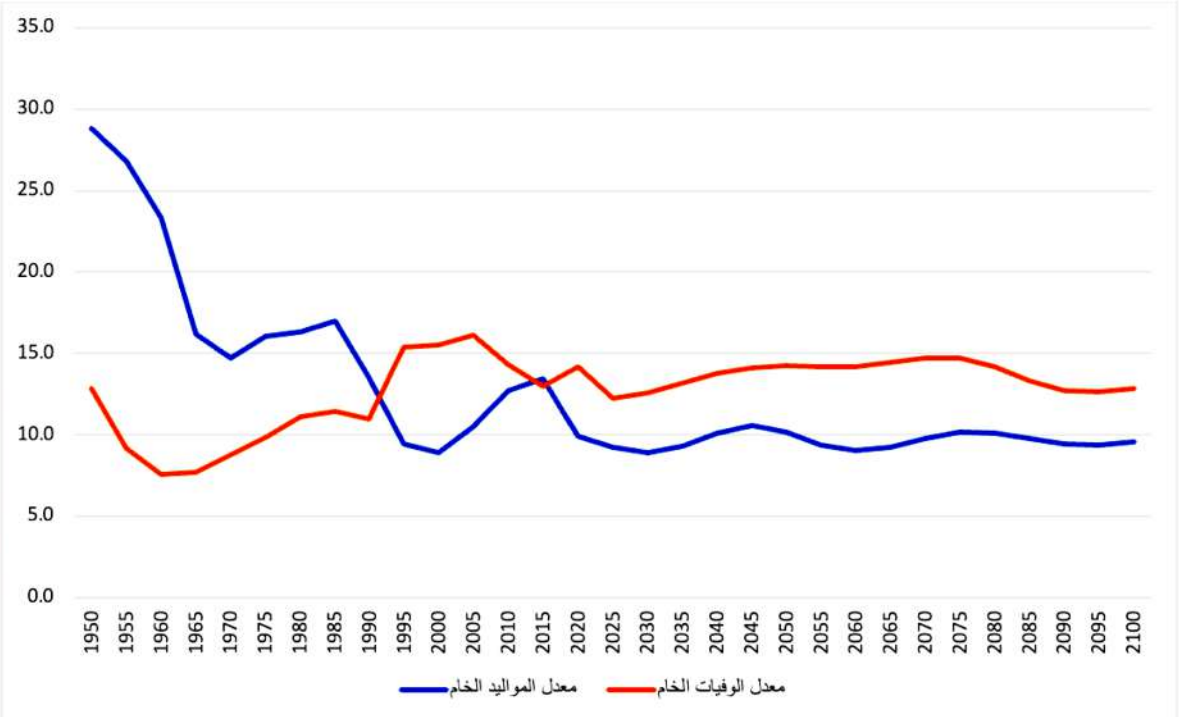

جـ - الولايات المتحدة:

إذا انتقلنا إلى حالة الولايات المتحدة نجد أنها تماثل تقريبا الحالة الروسية لكن الزيادة الطبيعية السالبة سوف تبدأ بعد روسيا بمدة زمنية كبيرة؛ إذ إنه من المتوقع أن يرتفع معدل المواليد الخام عن معدل الوفيات الخام بحلول عام ٢٠٤٥. ونلاحظ أيضا أن معدل المواليد الذى سجل فى سنة الأساس (١٩٥٠) قد بلغ ٢٢,٨ فى الألف وهو أقل مقارنة بروسيا (٢٨,٨ فى الألف)، وبالصين (٤١ فى الألف). واستمر معدل المواليد الخام فى الانخفاض حتى وصل ١٤,٥ فى الألف عام ٢٠٠٠، ثم واصل الانخفاض ليصل إلى ١٠,٩ فى الألف عام ٢٠٢٠. ومن المتوقع أن يصل معدل المواليد الخام إلى ١١,٦ فى الألف عام ٢١٠٠.

وبالنسبة لمعدل الوفيات الخام، بدأ هذا المعدل عند مستوى منخفض يبلغ ٩,٦ فى الألف عام ١٩٥٠ قبل أن يرتفع قليلا إلى ٩,٧ فى الألف عام ٢٠٢٠. من المتوقع أن يرتفع هذا المعدل إلى ١١ فى الألف عام ٢٠٥٠، ثم يستمر حول هذا المستوى حتى عام ٢١٠٠. كما سلف الذكر، وبالاعتماد فقط على معدل الزيادة الطبيعية وتحييد عنصر الهجرة، يمكننا القول بكثير من التأكد: إن مجتمع الولايات المتحدة سوف يتناقص؛ إذ إن معدل الوفيات سوف يكون أكبر من معدل المواليد فى النصف الثانى من القرن الحادى والعشرين.

الشكل رقم (٦) معدلات المواليد الخام والوفيات الخام (فى الألف)، الولايات المتحدة ١٩٥٠-٢١٠٠

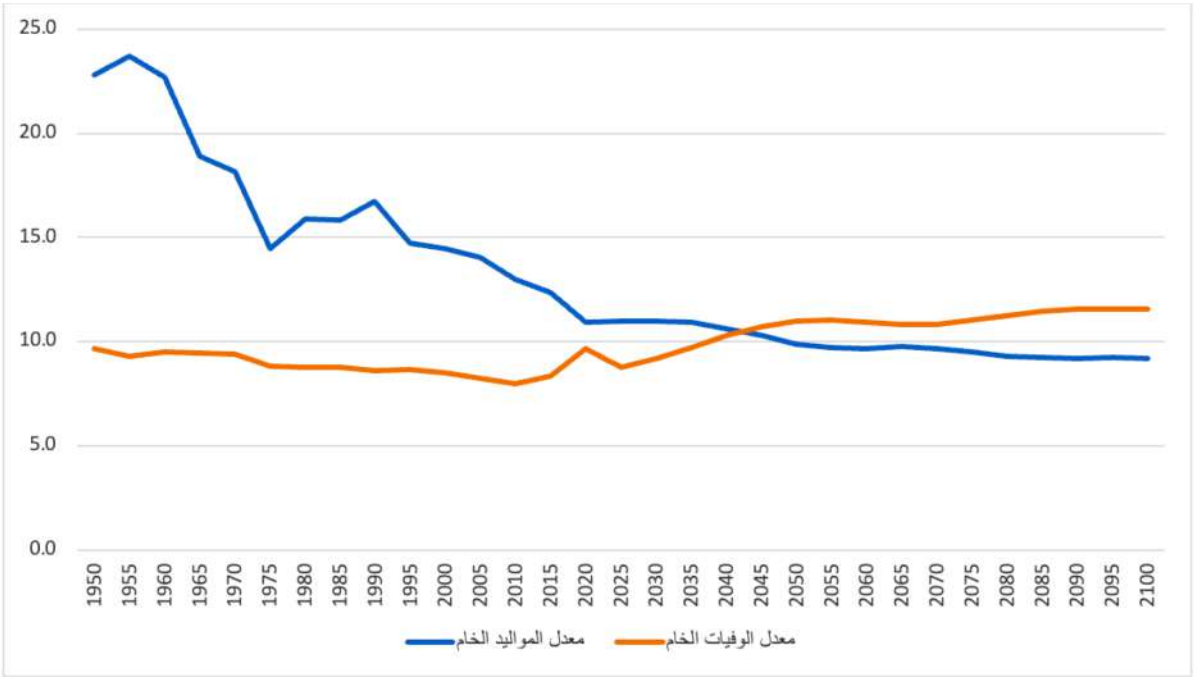

٧- الهجرة والعجز السكانى:

كيف يتغير حجم السكان فى منطقة ما أو فى بلد ما؟ الإجابة فى غاية البساطة، يتغير السكان بالولادة أو الوفاة أو الهجرة، ثلاثة متغيرات مهمة تعد ثالوث ديناميكيات السكان؛ إذ تؤدى الولادات إلى زيادة عدد السكان فى منطقة ما، فيما تؤدى الوفيات إلى خفض عدد السكان. وتؤدى الهجرة دورين فى آن واحد؛ إذ تؤدى إلى زيادة عدد السكان كما تفعل المواليد إذا كانت هذه الهجرة قادمة من الخارج إلى المنطقة أو البلد، وتؤدى أيضا إلى خفض عدد السكان كما تفعل الوفيات إذا كانت الهجرة متجهة إلى خارج المنطقة أو البلد (٨). صافى الهجرة هو الفرق بين عدد المهاجرين للداخل (الأشخاص القادمين إلى منطقة ما) وعدد المهاجرين للخارج (الأشخاص الذين يغادرون المنطقة نفسها) خلال مدة زمنية محددة (عادة ما تكون سنة واحدة). ويلاحظ هنا أن صافى الهجرة يمكن أن يكون موجبا أو سالبا. فإذا زاد عدد المهاجرين من منطقة ما على عدد المهاجرين للمنطقة نفسها يكون صافى الهجرة سالبا؛ إذ يعنى أن سكان المنطقة ينخفضون بسبب الهجرة. وإذا زاد عدد المهاجرين إلى منطقة ما على عدد المهاجرين من المنطقة نفسها إلى مناطق أخرى يكون صافى الهجرة موجبا؛ إذ يعنى أن سكان المنطقة يرتفعون بسبب الهجرة.

ويصعب التنبؤ بالهجرة لمدة طويلة فى المستقبل (بخلاف المواليد والوفيات) فإننا نعرض فى الجدول رقم (٦) أدناه معدل صافى الهجرة وصافى الهجرة لكل من الصين، وروسيا، والولايات المتحدة للمدة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٢٠. يمثل معدل صافى الهجرة الفرق بين عدد المهاجرين للدولة والمهاجرين منها لكل ألف من السكان (فى الألف) فيما يمثل صافى الهجرة الفرق بين أعداد المهاجرين للدولة والمهاجرين منها خلال مدة زمنية محددة (عادة تكون عاما واحدا). كما هو مبين فى الجدول المذكور نجد أن معدل صافى الهجرة للصين سالب بمعنى أن المهاجرين من الصين للبلدان الأخرى أكبر من المهاجرين للصين من البلدان الأخرى، وهذا يعنى أن الصين تفقد أعدادا من مواطنيها لمصلحة بلدان أخرى. قُدِّر الفقد السنوى فى الصين بسبب الهجرة عام ٢٠٠٠ بمقدار ٥٥٠ ألف نسمة، انخفض تدريجيا إلى ١٥٥ ألف نسمة عام ٢٠٢٠.

على الجانب الآخر، نجد أن معدل صافى الهجرة لكل من روسيا والولايات المتحدة موجب، بمعنى أن عدد المهاجرين لهذين البلدين أكبر من عدد المهاجرين منهما. بالنسبة لروسيا نجد أن معدل صافى الهجرة قد انخفض من ٢,٧٦ فى الألف عام ٢٠٠٠ إلى ١,٧٧ فى الألف عام ٢٠١٠ قبل أن يرتفع إلى ٢,٦٦ فى الألف عام ٢٠١٥، ثم انخفض مجددا إلى ٢,٣٤ فى الألف عام ٢٠٢٠. جدير بالذكر أن روسيا استقبلت أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ أوكرانى بسبب الحرب الروسية-الأوكرانية التى اندلعت فى فبراير ٢٠٢٢. وبالنسبة للولايات المتحدة، يمكننا القول إن الولايات المتحدة تجدد نسيجها الوطنى من خلال الهجرة. كما هو موضح فى الجدول المذكور، فإن معدل صافى الهجرة بالنسبة للولايات المتحدة يعد من أعلى المعدلات بالنسبة للهجرة الاستيطانية إذ بلغ ٥,٢٥ فى الألف عام ٢٠٠٠. وانخفض هذا المعدل إلى ٢,٠١، إلا أن الولايات المتحدة تظل من كبريات الدول المستقبلة للهجرة على مستوى العالم، صحيح أن الهجرة للولايات المتحدة تتأثر بالعوامل السياسية والظروف الاقتصادية لكن الهجرة تظل هى الحقيقة الثابتة فى مسيرة الولايات المتحدة. طبقا لبيانات صافى الهجرة، استقبلت الولايات المتحدة نحو ١,٥ مليون مهاجر، انخفض هذا العدد تدريجيا ليصل إلى ٦٧٦ ألفا عام ٢٠٢٠.

جدول رقم (٦)

معدل صافي الهجرة ومعدل الهجرة لكل من الصين وروسيا والولايات المتحدة (1950-2100)

السنة	معدل صافي الهجرة (لكل ألف من السكان)			صافي الهجرة (بالألف)		
	الصين	روسيا	الولايات المتحدة	الصين	روسيا	الولايات المتحدة
2000	-0.44	2.76	5.25	-550	405	1,480
2005	-0.40	1.70	3.81	-520	244	1,129
2010	-0.16	1.77	3.32	-216	253	1,031
2015	-0.11	2.66	3.77	-155	385	1,222
2020	-0.02	2.34	2.01	-34	341	676

المصدر: حُسِب بواسطة الكاتب من قاعدة بيانات السكان بالأمم المتحدة، تنقيح عام 2022، الأمم المتحدة. https://population.un.org/dataportal/ تاريخ الاسترجاع 19.04.2023.

ثانيا- السياسات السكانية وصناعة سيناريوهات المستقبل:

نستعرض فى هذا الجزء من الدراسة السياسات السكانية المتبعة فى الدول الثلاث؛ حيث نبدأ بالسياسة الصينية بداية من سياسة الطفل الواحد، وأسباب تغيير السياسة حاليا، والمشكلات التى وصلت إليها الصين بسبب سياسة الطفل الواحد. نتناول بالعرض والتحليل أيضا التحول فى السياسة السكانية فى روسيا وأسبابها. ونتطرق أيضا إلى سياسات الولايات المتحدة التى تتخذ من الهجرة وسيلة دائمة لإعادة إحياء التركيبة السكانية والعرقية واستمرارية تجدد المجتمع الأمريكى.

١- السياسات السكانية فى الصين:

ترتبط الصين فى الذاكرة الجمعية لشعوب العالم بأنها أكبر الدول سكانا؛ إذ يمثل سكانها خُمس سكان العالم تقريبا. وتشتهر أيضا بسياساتها السكانية الصارمة، خاصة «سياسة الطفل الواحد»، ربما لا يعلم الكثير أن الصين قد تخلت عن سياسة الطفل الواحد منذ عام ٢٠١٥. مرت الصين خلال العقود الستة الماضية بتغيرات اجتماعية واقتصادية كبيرة وتغيرات سكانية كبيرة أيضا. بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية فى أكتوبر ١٩٥٩، كانت الحكومة الجديدة ترى أن الصين بحاجة إلى عدد كبير من السكان لإحداث تنمية اقتصادية طموحة، إلا أنه بعد سنوات قليلة تراجعت الحكومة عن هذه النظرة التفاؤلية نحو الزيادة السكانية، وبدأت فى تطبيق واسع لبرامج تنظيم الأسرة فى ستينيات القرن العشرين بهدف خفض الخصوبة، خاصة فى المناطق الريفية.

ولم تؤتِ التدخلات الحكومية والدعوة لتنظيم الأسرة ثمارها المطلوبة، خاصة فى المناطق النائية والمناطق التى لا تتوافر فيها خدمات تنظيم الأسرة، مما دفع الصين إلى إطلاق أكثر برامج ضبط النسل صرامة فى تاريخ البشرية وهى «سياسة الطفل الواحد» التى بدأ تنفيذها منذ عام ١٩٧٨. حيث تتلخص هذه السياسة فى منع إنجاب أكثر من طفل لكل عائلة فى المناطق الحضرية، مع السماح ببعض الإعفاءات فى المناطق الريفية ولبعض الأقليات العرقية، وكذلك للآباء والأمهات الذين ليس لهم أشقاء. على الرغم من أن هذه السياسة قد أدت إلى منع أكثر من ٤٠٠ مليون ولادة فإن التشدد فى تطبيق هذه السياسة والعقوبات التى طالت المخالفين أديا إلى زيادة حالات الإجهاض، خاصة فى حال معرفة

نوع الجنين، وأدت سياسة تفضيل الذكور على الإناث فى المجتمع الصينى إلى إجهاض أكثر للإناث، ومن ثم اختلال التركيب النوعى لمصلحة الذكور وما يسببه هذا الخلل من ممارسات، وأدت هذه السياسة أيضا إلى تعمُّر السكان وندرة الطاقات الشبابية. ونتيجة للآثار السلبية لهذه السياسة قررت الصين فى أكتوبر ٢٠١٥ إلغاء هذه السياسة، وأصدرت قرارا يسمح لكل عائلة بإنجاب طفلين كحد أقصى من غير شروط بدلا من سياسة الطفل الواحد.

على الرغم من التعسف الشديد ومخالفات حقوق الإنسان التى واكبت تطبيق هذه السياسة، فإنه لا شك فى أن الصين قد استفادت من تطبيق سياسة صارمة لضبط النمو السكانى فى مرحلة مهمة فى مسارها التنموى، وتجنبت عددا كبيرا من السكان، كان يمكن أن يكون معوقا لتقدمها فى العقود القليلة الماضية. وحسنا فعلت الصين بتخليها عن هذه السياسة حتى تتمكن من الدفع بدماء جديدة فى شرايين الاقتصاد الوطنى خلال المرحلة المقبلة.

٢- السياسات السكانية والخصوبة فى روسيا:

روسيا وحدها دولة صغيرة وفقيرة سكانيا، كانت روسيا فيما مضى تستمد قوتها من الاتحاد السوفيتى الذى كان عدد سكانه قد بلغ نحو ٢٩٠ مليون نسمة قبل تفككه عام ١٩٩١(٩). بعد تفككه بلغ عدد السكان فى روسيا نحو ١٤٨ مليون نسمة وهو أعلى مستوى وصل إليه حجم السكان فى روسيا؛ إذ بدأ حجم السكان فى التناقص التدريجى حتى وصل إلى ١٤٥,٦ نسمة عام ٢٠٢٠. ومن المتوقع أن يستمر عدد السكان فى التناقص حتى يصل إلى ١١٢,١ مليون نسمة عام ٢١٠٠ كما سلف الذكر. وقد استدعى هذا الحجم المنخفض والتناقص المستمر فى السنوات القليلة الماضية وتوقعات الانخفاض فى المستقبل إلى دق ناقوس الخطر فى روسيا بالنسبة لحجم السكان الذى لا يتناسب مع تطلعات القيادة السياسية فى روسيا ومحاولاتها الدائمة لمناطحة العدو التقليدى، الولايات المتحدة. زاد من شعور الحكومة الروسية بالعجز السكانى، الحرب الروسية-الأوكرانية.

ويهتم الرئيس الروسى فلاديمير بوتين بشكل خاص بمسألة العجز السكانى؛ إذ تحدث عن هذه المسألة فى خطابه السنوى أمام الجمعية الاتحادية عام ٢٠٢٠ الذى تحدث فيه عن مشكلة النمو السكانى وبرامج دعم الأسرة وأهمية السكان فى تنمية الدولة(١٠). مع انخفاض معدلات الإنجاب، وحاجة روسيا إلى قاعدة سكانية أعرض لتحقيق أهدافها السياسية، ومع نزوع نسبة ليست بالقليلة من الشباب الروسى للهجرة للخارج، أعاد بوتين إحياء جائزة من الحقبة السوفيتية للنساء اللائى لديهن عشرة أطفال أو أكثر. كان جوزيف ستالين أسس لقب «البطلة الأم» عام ١٩٤٤ لتشجيع الإنجاب بعد وفاة عشرات الملايين من المواطنين السوفيت فى الحرب العالمية الثانية، لكن ألغيت هذه الجائزة عام ١٩٩١ بعد تفكك الاتحاد السوفيتى. ولا شك فى أن إعادة الجائزة فى هذا الوقت تحمل أكثر من رسالة، لعل أهمها هو محاولة إعادة الريادة التى كان يمثلها الاتحاد السوفيتى قبل تفككه، لكن هل تنجح هذه السياسات فى إعادة الزخم السكانى إلى مجتمع يعانى الشيخوخة؟

٣- السكان والخصوبة والهجرة فى الولايات المتحدة:

لا يبدو أن الولايات المتحدة الرسمية تولى أى اهتمام بمسألة السياسات السكانية بشكل مباشر، إلا أن سياسات الهجرة تعد جزءا من السياسات السكانية. ولا شك فى أن الهجرة للولايات المتحدة وسياسات التوطين التى تتبعها تؤدى إلى تجدد السكان وتدفع بدماء جديدة إلى شرايين المجتمع الأمريكى، إلا أنه من الملاحظ أن مسألة سياسات الهجرة يتم الزج بها فى أتون الصراعات السياسية بين الحزبين الجمهورى والديموقراطى. هذا الحديث الذى لا ينقطع عن الهجرة وسياسات الهجرة بلغ ذروته بوصول الرئيس الأمريكى السابق دونالد ترامب إلى سُدّة الحكم عام ٢٠١٧ الذى أصدر العديد من القرارات المقيدة للهجرة للولايات المتحدة. بالإضافة إلى مسألة الهجرة، يمكن ملاحظة أنه على الرغم من التجدد الذى يشهده المجتمع الأمريكى من خلال الهجرة فإن معدلات الخصوبة فى الولايات المتحدة آخذة فى الانخفاض على

الرغـم من الحوافز التى تمنحها الدولة لخفض التكاليف المرتفعة لرعاية الأطفال.

ثالثا- الآثـار الاقتصـادية والاجتماعيـة والسياسية للتغيرات السكانية:

نعرض فى هذا الجزء من الدراسة الآثار الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسيـة للتغيرات السكانية فى الدول المذكورة مـع التركيز على الآثـار المرتبطة بالعلاقات الدوليـة والقضايـا الوطنية المرتبطـة بمصالح القوى العظمـى. نتحدث هنا عن الصين وتنافسها مع الغرب، وكيـف يمكن للعامـل السكانـى أن يسهم فـى استدامة ودعم الموقف الصينى دوليا. ونتحدث أيضا عن العجز الديمغرافـى فـى روسيا، والبدائـل المختلفـة، وتكلفة هذه البدائـل على كل المستويـات. ونتحدث كذلك عن القضايـا المرتبطة بحجـم السكان وتأثيـره فى الوزن العسكرى للدول.

١- الحجم المطلق للسكان:

هـل يمكن أن يؤثر مجرد الحجـم المطلق للسكان فى الـوزن السياسـى للدولة؟ الإجابـة المختصـرة نعم، فى معظـم الحـالات. الإجابة المطولة تتمثل فـى أن العنصر السكانـى كان، ولا يـزال، أحـد العناصر المحـددة لقوة الدولة وتأثيرها فى محيطيهـا الإقليمى والدولى. الحجم المطلـق للسكان هو المخزون الذى من خلاله تُجند القوة العسكرية للدولة. صحيح أن القوة العسكرية التكنولوجية يمكـن أن تحل، جزئيا، محـل القوة العسكريـة البشرية، لكن وجود قاعدة سكانية كبيرة لا يزال أحد أهم العناصر الحاكمـة لقياس قـوة الجيوش علـى المستـوى العالمى. أقـرب مثال على ذلك ربما يكون الوضـع فى روسيا، التى تعانى ندرة سكانية، ومحدودية قدرتها على تجنيد المزيد مـن الأفراد فى أثناء الحرب الروسية-الأوكرانية. الوضع بالنسبة للصين والولايات المتحدة أفضل.

نقطـة أخرى مهمـة بالنسبة للحجـم المطلق للسكان هى مسألـة توفير القـوى العاملة اللازمة لـدوران عجلة الاقتصـاد؛ إذ إنـه علـى الرغم مـن شكـوى الصين من الزيـادة السكانية خلال العقود القليلة السابقة، فإنه لولا هـذا المخزون الهائل مـن قوة العمل مـا كان للصين أن تحقـق نهضتهـا الاقتصادية الحالية. الفائض السكانى أيضـا لـه أهميـة كبيـرة، فعندمـا يهاجر هـذا الفائض السكانى للخـارج سواء لتلبية متطلبـات العمل فى الدول الفقيـرة سكانيـا أو حتـى للهجـرة بشكل دائـم للخارج، تستفيـد الدولـة الأم بتحويـلات مواطنيهـا العامليـن بالخـارج، وتستفيـد كذلك بوجود جاليـات كبيرة لها فى بلـدان أخرى تمثـل، ولو نظريـا، «لوبى» يدعـم توجهات الدولة وسياساتها فى العالم.

٢- التركيبة السكانية:

لا شك فى أن التركيبة السكانية للصين، رغم ضخامة عـدد السكان بها، تركيبة سكانية مشوهة؛ حيث إنها تمثل عبئـا يتزايد مـع مـرور الوقت علـى الاقتصـاد الصينى والمجتمـع الصينـى أيضـا؛ إذ إن التركيبـة السكانيـة الحالية والمستقبلية تعبر عـن مجتمع مُعمّر تنخفض فيه نسبـة الأطفال تحت سن ١٥ عاما وترتفـع فيه نسبة كبار السن ٦٥ عاما فأكثر، مما يعنى انخفاض أعداد الداخلين إلى الفئة العمريـة المنتجة ١٥-٦٤ وهو ما يهدد إمكانات الاستمرارية الاقتصادية، فضـلا عن التوسع الاقتصادى والنمـو. أضف إلـى ذلك الآثار الاقتصاديـة والاجتماعية للتعمُّر، ونفقات الرعاية الصحية والاجتماعية للمعمرين، والضغـط علـى صناديـق المعاشـات والتعويضـات. ولا يختلـف الحال فى روسيا عن حالة الصين، الفرق الوحيد هو الحجم؛ إذ إن التركيبة السكانية فى روسيا هى تركيبة معمرة أيضا، مما سوف يؤدى إلى أعراض الحالة الصينية نفسها مـن تقلص نسبـة السكان فى سـن الطفولة، وفى سـن العمل، وارتفاع التمثيل النسبى لفئة المعمرين مع ما يترتب عليه من المزيد مـن الضغوط الاقتصادية، وعدم مواكبة حجم السكان مع التطلعات الاقتصادية والسياسية لبلد يطمح فى استعادة مكانته العالمية بعد أن أصبح دولة صغيرة فقدت معظم سكانها بعد تفتت الاتحاد السوفيتى. الآثار الاقتصادية والاجتماعية للتعمّر والعبء الواقع على الدولـة لرعاية المسنين اقتصاديا واجتماعيا سوف يكون أحد العوامل الضاغطة على روسيا خلال هذا القرن.

تتجـدد الولايات المتحدة بالهجـرة؛ وعلى الرغم من الانخفاضـ الذى شهدته فى معـدلات الخصوبة، وكذلك

توقع ارتفاع نسبة المعمرين فى المستقبل، فإن تدفقات الهجرة فى أمريكا تؤدى إلى تجدد المجتمع وتمنحه حيوية دائمة. طبعا لا يمكن التنبؤ بتوجهات الحكومة الأمريكية تجاه سياسات الهجرة فى المستقبل بشكل دقيق، لكن وعلى الرغم من السياسات المناهضة للهجرة بين الحين والحين ونتيجة للتغيرات السياسية، يمكن ملاحظة أن الخط العام لسياسات الهجرة الأمريكية لم يتغير كثيرا. على سبيل المثال، تابعنا الجدل الخاص بمطالبة ناشطين أمريكيين وأعضاء فى الكونجرس بإلغاء المادة الدستورية الأمريكية التى تقضى بمنح الجنسية الأمريكية تلقائيا لأى طفل يولد داخل الحدود الأمريكية(١١). على الرغم من أن معدل الوفيات فى الولايات المتحدة سوف يكون أعلى من معدل المواليد بداية من عام ٢٠٤٥، مما يعنى أن معدل الزيادة الطبيعية سوف يكون سالبا، إلا أن صافى الهجرة سوف يكون موجبا مما يؤدى إلى استمرار ارتفاع الحجم المطلق للسكان فى الولايات المتحدة حتى نهاية القرن الحادى والعشرين، بخلاف الوضع فى كل من الصين وروسيا.

٣- العجز الديمغرافى:

لا يحدث العجز الديمغرافى فقط عندما يميل السكان للتعمر، وتنخفض الخصوبة، وتقل نسبة الأطفال فى المجتمع، وترتفع نسبة المسنين. يمكن للعجز السكانى أن يحدث دون حدوث هذه الظواهر مثلما هو الحال فى بلدان الخليج العربية التى تعانى عجزا ديمغرافيا نظرا لعدم قدرة قاعدتها السكانية الصغيرة على الوفاء باحتياجات قاعدتها الاقتصادية الكبيرة بسبب عوائد النفط. تعانى الدول الثلاث محل الدراسة عجزا ديمغرافيا بدرجات متفاوتة، وتعانى روسيا عدم مواكبة قاعدتها السكانية الصغيرة مع مساحتها الجغرافية الهائلة وتطلعاتها الاقتصادية والسياسية الكبيرة. بالنسبة للصين، من الملاحظ أن عدد سكان الصين سوف يبدأ فى التناقص بداية من عام ٢٠٣٠، كما أن هناك ميلا للهجرة للخارج ما قد يؤدى إلى حدوث عجز سكانى فى الصين مقارنة بالنشاط الاقتصادى وبتطلعات النمو الاقتصادى فى المستقبل وتظل الولايات المتحدة فى حالة توازن نسبى إذا ما قورنت بكل من الصين وروسيا، خاصة فى ظل استمرار تيار الهجرة إليها فى المستقبل.

٤-السكان والوزن العسكرى:

على الرغم من أن قوات المشاة والقوات العسكرية بشكل عام تمثل عنصرا مهما من عناصر الحسم فى المعارك التلاحمية، فإن طبيعة الحروب الحديثة التى تتحكم فيها الأسلحة الفتاكة التى تعتمد على التكنولوجيا الحديثة والترسانة العسكرية المتطورة للبلدان أطراف النزاع. هذا لا يقلل بالتأكيد من أهمية العنصر البشرى فى الحروب الحديثة خاصة فى حروب المدن والمناطق كثيفة السكان، وفرض السيطرة على الأماكن التى تستولى عليها القوات الغازية. يلاحظ تفوق الصين فيما يخص العدد المطلق للقوات التى يمكن أن تكون جاهزة للهجوم البرى؛ إذ يعد الجيش الصينى أكبر قوات مسلحة على مستوى العالم من حيث العدد (نحو ٣,٣ مليون جندى، بالإضافة إلى أكثر من نصف مليون جندى فى قوات الاحتياط). وعلى الرغم من أن عدد السكان فى روسيا لا يمثل سوى ١٠٪ فقط مقارنة بعدد سكان الصين، فإن عدد جنود الجيش الروسى يتجاوز ثلاثة ملايين جندى، بالإضافة إلى مليونى جندى فى قوات الاحتياط. وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية يبلغ عدد أفراد الجيش الأمريكى نحو ٢,٢٥ مليون جندى بينهم ٨٤٥ ألفا فى قوات الاحتياط(١٢).

الخلاصة :

فى الختام لا يمكننا سوى الإقرار بأن العامل السكانى يمثل أحد العوامل الحاسمة فى معركة ريادة العالم؛ إذ لا يمكن تصور ريادة روسيا للعالم اليوم بهذا القدر الهزيل من السكان المنكفئ على الداخل، أو على أقصى تقدير، المرتبط ببعض الدول التى كانت تشكل الاتحاد السوفيتى السابق. أضف إلى ذلك العديد من القضايا السكانية مثل انخفاض الخصوبة، وارتفاع نسبة كبار السن، وانخفاض نسبة السكان فى سن العمل، ١٥-٦٤ عاما، وما يمثله هذا التركيب العمرى من ضغوط اقتصادية، واجتماعية، وسياسية. ومع تقديرنا للمنجزات التكنولوجية فى مجال التسلح، فإن العنصر البشرى يمثل رافدا مهما من روافد التنمية فى أى بلد.

وإذا انتقلنا للحالة الصينية نجد أنها حالة نادرة فى تاريخ السياسات السكانية؛ إذ تعد الصين صاحبة السياسات السكانية الأكثر نجاعة والأكثر قمعا على مستوى العالم. حيث أدى تطبيق الصين لسياسة الطفل الواحد خلال المدة من ١٩٧٨ حتى عام ٢٠١٥ إلى منع ولادة أكثر من ٤٠٠ مليون مولود، قبل أن تتراجع الصين عن هذه السياسة وتسمح بإنجاب طفلين. ومع تفضيل الصينيين لإنجاب الذكور أدت هذه السياسة إلى ارتفاع نسبة النوع فى المجتمع الصينى بسبب تقدم التكنولوجيا الخاصة باختيار نوع الجنين، وكذلك ارتفاع حالات الإجهاض بالنسبة للأجنة الإناث، مما ظهر جليا من خلال ارتفاع نسبة النوع للمواليد إلى أكثر من ١٢٠ مولودا ذكرا لكل مائة مولود أنثى.

كما سلف الذكر، وعلى الرغم من الانخفاض المتوقع فى حجم سكان الصين وتخليها عن الريادة فى هذا المجال على مستوى العالم لجارتها الهند خلال سنوات قليلة، فإن توقعات السكان تشير إلى استمرار الصين ككتلة سكانية ضخمة. المعضلة الكبرى بالنسبة للصين التى يمكن أن تؤثر فى مسيرتها التنموية وتوجهاتها السياسية فى العالم هى مسألة الخلل فى الهيكل العمرى للسكان الذى ينعكس فى انخفاض نسبة الأطفال وارتفاع نسبة المسنين، وما يمكن أن يمثله ذلك من ضغوط اقتصادية واجتماعية خلال الفترة المقبلة.

وتظل الولايات المتحدة الدولة الأكثر توازنا من حيث حجم السكان وتركيبهم العمرى، ويرجع الفضل فى ذلك إلى تجدد المجتمع الأمريكى من خلال تدفقات الهجرة الدائمة والمستمرة للولايات المتحدة التى من خلالها يمكن تعويض الانخفاض فى أعداد السكان نتيجة انخفاض الزيادة الطبيعية المتوقع عندما يزيد معدل المواليد على معدل الوفيات.

فى الحالات الثلاث المعروضة فى هذه الدراسة يمكن الوصول إلى خلاصة، مفادها أن الزيادة السكانية التى يشهدها العالم فى طريقها للانخفاض، وأن القضايا السكانية سوف تنتقل من الحديث عن حجم السكان المطلق إلى الحديث حول التركيبة السكانية ومحاولة إصلاحها لتصبح أكثر تواؤما مع التطلعات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية للدولة سواء من خلال تشجيع الإنجاب، أو فتح أبواب الدول للهجرة لحل قضية العجز السكانى، خاصة فى تلبية متطلبات الاقتصادات الوطنية من السكان فى سن العمل. الخلاصة المهمة التى توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة أن الديمغرافيا يمكن أن تؤدى دورا مهما فى المعركة الدائرة حول ريادة العالم.

الهوامش والمراجع:

1. Thomas, Q. (2015). Social Media's Influence on Public Discourse in the Pacific Northwest.

٢. ظهر مصطلح الحجم الأمثل للسكان للمرة الأولى فى كتابات إدوين كانّان Edwin Cannan فى كتابه الثروة Wealth, a Brief Explanation of the Causes of Economic Welfare الصادر عام ١٩٢٤ عن دار نشر P.S. King and Son.

3. United Nations (2023) World Population Prospects 2022, Population Division, United Nations.

٤. المقصود بالمجتمعات الطبيعية المجتمعات التى لا تمثل الهجرة فيها مكونا مهما من مكونات زيادة السكان.

٥. الأمم المتحدة (٢٠٠٧)، الأمم المتحدة تحذر من أن تفضيل الذكور على الإناث فى آسيا يمكن أن تكون له عواقب اجتماعية خطيرة، https://news.un.org/ar/story.

٦. معدل المواليد الخام هو عدد المواليد لكل ألف من السكان خلال مدة زمنية معينة، عادة تكون عاما واحدا. يتم حساب معدل الوفيات الخام بالطريقة نفسها إذ إنه عدد الوفيات لكل ألف من السكان خلال مدة زمنية معينة، عادة تكون عاما واحدا.

٧. معدل الزيادة الطبيعية هو الفرق بين معدل المواليد الخام ومعدل الوفيات الخام.

٨. تعرضت الصين خلال المدة ١٩٥٩-١٩٦١ لما يعرف بمجاعة الصين الكبرى التى راح ضحيتها عشرات الملايين ما أدى إلى انخفاض معدلات المواليد والارتفاع الكبير فى معدلات الوفيات.

٩. أيمن زهرى (٢٠٢٣)، مقدمة فى دراسات الهجرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٠. كان عدد سكان الولايات المتحدة عام ١٩٩١ نحو ٢٥٠ مليون نسمة.

١١. داليا يسرى (٢٠٢١)، سيناريوهات محتملة: تطور الديمغرافيا السياسية فى روسيا، المركز المصرى للفكر والدراسات الاستراتيجية، https://ecss.com.eg/14940/. 24.04.2023.

١٢. طبقا للدستور الأمريكى، من حق أى طفل يولد على الأراضى الأمريكية أن يحصل على الجنسية الأمريكية بغض النظر عن جنسية والديه، ما عدا أعضاء البعثات الدبلوماسية.

١٣. CNN بالعربية (٢٠٢١)، بين أمريكا، وروسيا، والصين .. من الأقوى عسكريا؟ https://arabic.cnn.com/world/article/٢٠٢١/٠٣/١١/weapons-explainer-us-vs-russia-vs-china-military-manpower-2021 29.04.2023.

الديمقراطية

فَصليَّة مُحَكَّمة تُعنَى بدراسة قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان المعاصرة

٩٢
السنة الثالثة والعشرون
أكتوبر ٢٠٢٣

تصدر عن مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - مصر

رقم الإيداع المحلى ٢٦٥٨ / ٢٠٠١ رقم الإيداع الدولى ٩٠٩٣ - ٢٣٥٦

طبعت بمطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر